عاش حزينا ومات مفلسا وأضحك الملايين

ملتقى الثلاثاء احتفل بمئوية إسماعيل يس في الكويت .. والإعلام المصري تجاهل

يس في «ابن حميدو»

في شخصية العسكري رجب التي اشتهر بها

في بدايات بطولاته السينمائية

كتب عماد جمعة

في أجواء تمزج بين الضحك والشجن، احتفل ملتقى الثلاثاء بمئوية إسماعيل يس «1912، 2012». وتضمنت الاحتفالية عرض مواد فيلمية إلى جانب دراسة تلخص تجربته قدمها الكاتب والناقد شريف صالح.

في البداية قال صالح: إن اسماعيل يس جعل طفولة ملايين الأطفال العرب فرحة وسعيدة، حيث لا يمل من مشاهدة أفلامه الصغار والكبار، وأشار إلى أنه ليس مجرد ممثل بل ظاهرة واسطورة غير قابلة للتكرار.

ثم تم بث مادة إذاعية للقاء نادر بين الإعلامي وجدي الحكيم واسماعيل يس في برنامج «نجوم زمان» يضيء جوانب في حياته الحافلة بالبكاء والضحك. واستكمل صالح بعض الجوانب موضحا أن اسماعيل يس ولد في 15 سبتمبر 1912 وتوفي في 24 مايو 1972، وعاش طفولة بائسة في السويس وعانى من قسوة جدة أمه التي كانت تعتقد ان أبيه سبب وفاة ابنتها، ثم قرر الرحيل إلى القاهرة ليصبح مطربا مثل عبد الوهاب. وفي القاهرة عاش حياة بائسة لدرجة أنه كان ينام في مسجد السيدة زينب، إلى أن ابتسم له الحظ بالعمل في كازينو بديعة مصابني، وبدأ احتراف المونولوجات.

حياة بائسة

وقد عاش في سياق عام معاد للضحك، حيث ولد قبل عامين من الحرب العالمية الأولى، وشهد حروبا كثيرة منها النكبة والعدوان الثلاثي إلى أن انتهى فنيا مع النكسة. ولا يختلف سياقه الشخصي كثيرا، حيث ولد يتيما لأب جواهرجي مات مفلسا، وهو نفسه مات مفلسا بعد الحجز على العمارة التي كان يملكها. ورغم هذا السياق المعادي للضحك والفرح والإنجاز، استطاع يس أن يصبح مضحكا عظيما.

ثم تناول صالح أهم الملامح التي تميز تجربته، وقيمته الفنية، وأهمها «التأسيس». فقد أسس لمدرسة في الكوميديا في وقت لم يكن فيه على الساحة سوى الريحاني والكسار، لكنهما عملا في المسرح وظلت أعمالهما السينمائية قليلة، في حين فعل يس العكس حيث إن إنجازه الأكبر في السينما.

الأمر الثاني براعته في الغناء والاسكتشات التي قدمها مع كبار المطربات مثل شادية وسعاد مكاوي وليلى مراد، وفي فن المونولوج الذي تسيد فيه بدءا من عام 1935 وقد انقرض هذا الفن تقريبا بوفاته.

وللدلالة على هذه الميزة التي انفرد بها دون بقية نجوم الكوميديا تم عرض وتحليل اسكتش «العقلاء» من فيلم المليونير، وهو من كلمات رفيق دربه أبو السعود الإبياري ولحن عزت الجاهلي، وشارك فيه كبار الفنانين أمثال صلاح منصور، سراج منير، محمد توفيق، وعبد الرحيم الزرقاني.

السمة الثالثة تتمثل في «التلقائية» والعفوية التي تميز أداءه، وتجعل حضوره في حد ذاته مثيرا للضحك، حتى لو لم يقل كلمة واحدة، واكتفى بتحريك فمه أو وسطه أو طريقة سيره.

النقابات الفنية

أما رابع السمات فهي «ضخامة الإنجاز»، فرغم وفاته دون السابعين ترك قرابة 300 فيلم سينمائي، وأكثر من 50 مسرحية لكن للأسف ضاع تراثه المسرحي حيث مسحه موظف من أرشيف التلفزيون المصري.

شريف صالح متحدثا

ليلى العثمان: لماذا لم تحتفل دار الأوبرا بفنان كبير أسعد ملايين العرب؟

خامس السمات تتعلق بما أسماه صالح «الأبقونية» فإسماعيل يس تحول إلى ظاهرة، وماركة مسجلة، وبكفي إطلاق اسمه على عشرات الأفلام وكذلك على فرقته المسرحية التي أسسها في خمسينيات القرن الماضي. وأخيرا لا ننسى «امتداد التأثير» حيث ينتهي حضور بعض الفنانين بوفاتهم تقريبا، لكن أعمال يس مازالت محبوبة ومرغوبة لدى أجيال لم تعاصره.

وبعد عرض «ميدلي» لمشاهد ضاحكة من أعمال يس منها: «إسماعيل يس في الأسطول، الآنسة حنفي، المليونير، وإسماعيل يس في مستشفى المجانين. فتح الباب للنقاش حيث استغرب الحضور تجاهل وسائل الإعلام والنقابات الفنية لمئوية يس وتساءلت الروائية ليلى العثمان في أسى: لماذا لم تحتفل دار الأوبرا والجهات الرسمية في مصر بفنان كبير أسعد ملايين العرب؟

وأشار صالح إلى أن يس صاحب الكثير من الأرقام القياسية أكثر من 300 فيلما و50 مسرحية وفي بعض الأحيان كان يمثل 16 فيلما في السنة وهو رقم من الصعب على أي ممثل أن يحققه. وقال صالح أن اسماعيل يس هو الفنان العربي الوحيد الذي تحمل اسماء أفلامه اسمه الشخصي

موظف بالأرشيف يمسح التراث المسرحي للمضحك الكبير

نجوم لها تاريخ

لا أحد يختلف على أن إسماعيل يس كان أسطورة سينمائية حتى ان التصريح الأخير للفنان عمر الشريف الذي انتقد فيه إسماعيل يس يدل على انه مازال باق ومؤثر بدليل اهتمام الكثيرين بمشاهدة مسلسل يتناول قصة حياته الذي قام به الفنان اشرف عبد الباقي قبل عامين او ثلاثة.

فقد كان يقوم باداء اكثر من 7 افلام في السنة الواحدة و كان الأعلى اجرا و أعماله الأعلى إيرادات. تميز إسماعيل يس بروح جميلة و بسيطة، و لكنه كان يمثل بدون هدف، و تركه نفسه لمخرجين غير جيدين قدموا به أفلام لا تليق به، . و لذلك تظل أفلامه الباقيه هي الأفلام التي اخرجها مخرجين محترمين مثل فطين عبد الوهاب مثل إسماعيل يس في البوليس الحربي، إسماعيل يس في بيت الاشباح، إسماعيل يس في الجيش.

إسماعيل ياسين لم يستطيع أن يطور نفسه، و لم يستطيع أن يقف امام الجيل القادم وقتها مثل فؤاد المهندس و محمد عوض و عبد المنعم مدبولي، و لم يستطيع ان يفعل مثل ما فعل فؤاد المهندس حيث وافق أن يظهر خلف تلميذه عادل امام في أفلامه، و قد يكون ذلك نقطة تحسب لفؤاد المهندس الذي احب الفن بعيدا عن ترتيب الأسماء، عندما أغلقوا السينما في وجه اتجه إلي فرقته المسرحية يقدم مسرحياته بنفس الأسلوب والطريقة.

في أواخر الثلاثينيات، عندما وفد إسماعيل ياسين إلى العاصمة كان شارع عماد الدين، فقد كان الشارع المزدهر فنيا يمتد إلى العتبة شمالا، وقصر النيل جنوبا حيث المزيد من المسارح والكازينوهات والفرق، تعرض إسماعيل ياسين إلي سخرية من الجميع خاصا انه كان يري نفسه مطربا و لكن ملامحه الشكلية كانت تؤدي إلي حدوث حالة من السخرية و لكنه طور من نفسه بدايتقن الفن المنولوج الذي يجمع بين الغناء و الكوميدية، قدم إسماعيل ياسين أكثر من ثلاثمائة فيلم واشترك عام 1949 في أربعة عشر فيلما، ووصل الرقم في العام التالي 1950 إلى سبعة عشر فيلما.

شعبية «سمعة»

نستطيع أن نقسم أفلام إسماعيل ياسين إلى قسمين: أولهما كان يؤدي فيها الدور الثاني او الدور المساعد، وكان يضفي على الأفلام طابعا محببا من الحيوية والمرح، اما القسم الثاني فيقوم فيه بدور البطولة المطلقة وفيه حقق بعض النجاح مثل الآنسة ماما و ذهب. اما الأفلام التي قام ببطولتها المطلقة فالكثير منها يكاد يخلو تماما من الفكر والفن ويعتمد على شعبية إسماعيل ياسين، لكن هذا لا يعني ان كل الأفلام التي قام ببطولتها هي بلا قيمة، على العكس منها ما يتميز بقيمة حقيقية تجعلها قادرة، حتى الآن، على مخاطبة الجمهور المتغير، الذي لا يزال يجد فيه ما يستحق المشاهدة مثل فيلم إنسان غلبان و الآنسة حنفي.

حققت أفلام إسماعيل يس أعلى الايرادات في تاريخ السينما العربية حتى اليوم ولا زالت أفلامه العديدة القديمة «أبيض وأسود» هي المادة المفضلة لدي قطاع عريض من الجمهور في مصروالعالم العربي لأنه استطاع أن يرسم البسمة علي شفاه الجماهير بفضل ملكاته ومواهبه المنفردة. وساهم إسماعيل ياسين في صياغة تاريخ المسرح الكوميدي المصري وكون فرقة تحمل اسمه وظلت هذه الفرقة تعمل على مدى 12 عاما منذ عام 1954 حتى عام 1966 قدم خلالها مايزيد علي خمسين مسرحية بشكل شبه يومي.و لكنه لم يستطيع أن يحافظ على نجاحهفقد عاد في أواخر ايامه إلي فن المنولوج في الصالات مرة أخرى.

من الأشياء المحزنه أن إسماعيل يس في أواخر أيامه سجل كل مسرحياته التلفزيون المصري حيث كان يسجل في اليوم الواحد أكثر من ثلاث مسرحيات ولكنها فقدت بسبب أهمال العاملون في التلفزيون حيث سجلوا على نفس الشرائط مباريات كرة القدم ولم يبق سوى مسرحية واحدة.

ليلي العثمان

جانب من الحضور

بوستر اسماعيل يسين في مستشفي المجانين

في أواخر أيامه

مع رفيق مشواره رياض القصبجي

إسماعيل ياسين في الاسطول